بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي العدد الجديد

إن هذا العدد الممتاز من مجلة قافلة الأدب الإسلامي"الناطقة باسم مكتب باكستان و أفغانستان الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية"، قد تأخـــر قليلا عن موعده إلا أن هذا التأخير له أسباب ومبررات، ومنها أن المجلـــس التنفيذي للمكتب الإقليمي قد قرر عقد ندوة عن فقيد الإسلام والمفكر الإسلامي الكبير الدكتور العلامة(محمد حميد الله)، رحمه الله، وقد اســـتقر الرأي على أن تنشر مقالات الندوة وبحوثها في عدد ممتاز خاص بالمفكر الإسلامي الراحل، ولكن الندوة أيضا قد تأخرت لأسباب كانت فوق ما يستطيعه الإنسان ولا يملك فيه حولا ولا طولا.

وأخيرا قد عقدت تلك الندوة بلاهور وقد شرفها برعايته الجنرال (خـــالد مقبول) حاكم إقليم بنجاب، وهو رجل يحب العلم ويرعى أهله ويكـــرمهم، فجزاه الله خيرا، وقد شارك في الندوة عدد كبير من الكتاب والأدبـــاء والعلماء وكانت للندوة صدي في الإعلام الإلكتروني والمطبوع على السواء وتحدث المشاركون عن أهم الجوانب للخدمات الغالية التي قام بهـــا الدكـــتور، رحمه الله، وعن أبرز الجوانب لشخصيته، وهذه المقالات

والبحوث يضمها هذا العدد الممتاز الذي خص بالمفكر الإسلامي الراحل، رحمه الله،-

وبالإضـــافة إلى ذلك فإن العدد يضم الترجمة العربية لشعر الشاعر العارف الشيخ" البابا فريد الدين مسعود، معدن السكر"، رحمه الله، وقام بالـــترجمة وتقديمها رئيس التحرير للمجلة ورئيس المكتب الإقليمي للرابطة سابقاً، فقد أخذ على عاتقه تعريب الدواوين الشعرية للشعراء العارفين في بنجاب وسرحد والسند من أقاليم باكستان، وقد فرغ من تعريب" أبيات ســـلطان باهو" الشاعر العارف الموحد، رحمه الله، والغرض من ذلك هو الـــتعريف بالشعر الشعبي الباكستاني وإثراء اللغة العربية في نفس الوقت، وبينما يضم العدد شعر الشاعر النبجابي الأول والمتصوف المتشرع، سوف ينشـــر أيضـــا ككتاب مستقل يكون من بين مطبوعات المكتب الإقليمي للرابطة!

والأستاذ عبد الستار غوري من متحضصي الكتاب المقدس والرد على مزاعم المستشرقين قد أعد بحثا نقديا مهما عن "انجيل برنا باس" وقد نشـــرت الحلقـــة الأولى منه في القسم الإنجليزي للعدد الماضي ويضم هذا العـــدد ما تبقي من البحث الذي يبرهن على قوله تعالى ويؤيده" ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد!" (القرآن الكريم2:21)، والعدد الممتاز القـــادم سوف يكون عن شيخنا العلامة أبي الحسن على الندوي الرئيس المؤسس للرابطة ، إن شاء الله!

أ.د.ظهور أحمد اظهر

قضية الأمة الإسلامية العربية في الشعر الماليزي الحديث

للأستاذ روسنى بن سامة – ماليزيا

في اليوم الثامن من أغسطس عام 1982م أعلنت جريدتا "بريتا ميـــنجو"(الأخبار الأسبوعية) و "أتوسن زمان" (أخبار رسالة الزمان) عـــن مشـــروع جمع القصائد التي أنتجها الشعراء الماليزيون كرد فعل مـــنهم تجاه أعمال العنف التي قامت بها الصهيونية الإسرائيلية في لبنان ولقى هذا الإعلان استجابة طيبة من الشعراء ومن أثر مساهمتهم ظهر ديوان بعنوان "تنفيس: الأصوات الباطنية للشعراء الماليزيين حول ظلم الصـــهيونية في لبنان" وقام بجمعه كما لا وريزي س س و أحمد غزالي وكانت تسميته بعنوان تنفيس بوصف كونه منفذا يعبر فيه الشعراء عن أحاسيســـهم ومواقفهم تجاه القضية القائمة فيه ويحتوي على خمس و أربعـــين قصـــيدة و أبـــان معظم قصائده مواقف الشعراء تجاه مآسي الفلســـطينيين الناتجة عن ظلم الصهيونية في لبنان كما تناولت مختلف القضايا المتعلقة بفلسطين.

وكان الموضوع الرئيسي فيه يدور حول قضية فلسطين ومنهم من تحدث عن إسرائيل واليهود والصهيونية وفلسطين و منظمة التحرير الفلســـطينية ولبنان والمسلمين العرب عامة. حيث أعربوا عن آمالهم و

دعائهم و اعتراضاتهم واقتراحاتهم ومشاعرهم الرقيقة موجهين إياها إلى أشخاص معينين أمثال ياسر عرفات والرئيس ريجان.

وهو لون من شعر المقاومة حيث يحس القارئ بعاطفة الشعراء الصادقة وحماستهم المتقدة الملتهبة ويلمس نزعتهم الدينية الواضحة ويتبين من خلال قصيدته مشاعرهم الإسلامية المخلصة في المعاني والأفكار والمفردات والتعابير والرموز والأخيلة والصور الفنية.

وقد زيد هذا الديوان بترجمة خمس قصائد للشعراء العرب وهم سليم جبران وهارون هاشم رشيد وسلمى حضراء الجيوشي و محمود درويش وسميح القاسم.

كان موضوع القصائد فيه يتراوح ما بين الجهاد والظلم والخداع والضحايا والذكريات والمشاركة العاطفية والحرية والحماسة والوحدة والأمل.

و تلقى موضوع الظلم قسطا أكبر في الديوان حيث تحدثت عنه ست عشرة قصائد وتلاه موضوع الجهاد والتضحية حيث تحدثت عنه سبع قصائد ثم عقبهما كل من موضوع الخداع والحماسة حيث حصل كل منهما على أربع قصائد دارت حولهما ثم جاء بعدها موضوع الضحايا و موضوع المشاركة العاطفية و موضوع الأمل والدعاء حيث تلقي كل منها على ثلاث قصائد تتحدث عنها. وتلقى

كل من موضوع الحرية والذكريات على قصيدتين تتحدثان عنهما ثم حصل موضوع الوحدة على قصيدة واحدة تتحدث عنه.

وعن موضوع الظلم تحدث الشعراء عن مدى ظلم الصهيونية واستبدادها على أرض لبنان وفلسطين وشعبهما وصوروا الآثار المؤلفة مـــن ذلك الظلم. ومن هذه الصور ما صوره أبهم ت. ر في قصيدته " أرض لبنان"

في أرض لبنان

يسيل نهر الدم

ودمع الطفل في المهد

ورثاء الأم العجوز

من الألم أيضا

وإفراغ رصاصات

لا يعرفن الضحايا

كمـــا تحـــدث " أرســـيل با" عن ظلم الصهيونية على أرض فلسطين وشعبها في قصيدته " فلسطين.

فلسطين

قرى ومدن قد أحرقت

قد صهرت أشعار وكنوز قارون

اغتصب نساء

ورش رجال بنار جهنم

وعن موضوع الجهاد والتضحية أعرب الشعراء قسمهم وجهـــادهم في مقاومـــة ظلم الصهيونية وتحدثوا عن أهمية الجهاد في فلسطين لإعلاء كلمة الله وصوروا جهاد شعب فلسطين ولبنان للدفاع عـــن ديـــنهم ودولتهم وشرفهم وللتحرير من ظلم الصهيونية وكان الجهاد سبيلا وحيا للتخلص من الظلم و تحرير البلاد من الأعداء. ومن هـــذا المعنى ما جاء في قصيدة "رجب ف أي" بعنوان " سيف مسلول على صدر فلسطين".

فلسطين
نضالك الإيمان
دموعك ودمك
دموع الإسلامي العالمي
لا تغمدي ذلك السيف
اتركي الدم الأحمر يسيل في يدك !!

ومـــن موضـــوع الخـــداع تحدث الشعراء عن خداع الرئيس الأمـــريكي وغـــدر الصهيونية في تفريق الأمة العربية إلى القارات و المملكة وفي تسوية القضايا العربية في بيروت وفلسطين كما جاء هذا المعنى في قصيدة عثمان أو انج بعنوان سلام للقارات:

فرقونا

بجواز سفر و تأشيرة دخول الأقاليم بكل الجدران الملونة

سلبونا بقوانينه

أرسلت الذخيرة ملفوفة بدولاره

نحن مضطرون إلى اختيار أي منهما

و علينا اختياره

لا مفر

وعن موضوع الحماسة تحدث الشعراء عن التحديات والعقبات أمـــام الطريق للعودة إلى حضن الوطن يشجعون شعب فلسطين لشق طـــريقه لانـــتحاز حقوقه المسلوبة و ليكون على الوعي التام من غدر الأعداء كما شجعوه كي ينهض لمقاومة ظلم الصهيونية. وذلك كما جـــاء في قصـــيدة "جـــيما" بعنوان طريق الرجوع إلى حضن الوطن الحبيب:

ليست بجديدة عليكم

منهن، لا ، لا تفزعوا

فواصلوا للعودة طريقكم

لأجل أن تنتزعوا ثانية

حقالكم قد غصب

وعـــن موضـــوع الضـــحايا صـــور الشعراء ضحايا القنابل الفســـفورية التي شنها إسرائيل على أرض لبنان و مدى بشعة ضحايا شـــعب لبنان من أثر ظلم إسرائيل كما صور آلام شعب فلسطين التي تحـــيط حـــياته. وذلك كما في قصيدة نور س.م. بعنوان حول طفل فلسطيني صغير:

بينما قد بترت
رجله اليمني وتركت
فوق جثمان لأم
قد تهاوت
من أمام الباب من
منـــزلها

وعـــن موضـــوع المشـــاركة العاطفية أعرب الشعراء مدى مشاركتهم العاطفية الحزينة على ما أصاب شعب فلسطين من الظلم و على ما أصاب شعب لبنان من استبداد إسرائيل وذلك كما في قصيدة أكمل بن الشيخ الحاج محمد زين بعنوان قد بح صوتنا:

أيها الإخوان قد قرأنا مرثيتكم
أقوال الجسد البشرى
لقد شاهدنا انصباب الدم
الذي يفيض بأرضكم

مرطبا مدينتكم

عزائنا العميق لكم، إخواننا

قد بح صوتنا

وعـــن موضوع الدعاء والأمل دعا الشعراء إلى الله لينقذ لبنان مـــن ظلم الصهيونية وليغمر نصره و رحمته على أرض قلسطين كما صـــوروا آمال شعب فلسطين و تمنياته بتحرير بلاده. وذلك كما في قصيدة عثمان محمد بعنوان دعاؤنا:

إلهي !!

هذا حبنا ودعاؤنا

أنقذ

لبنان !!!

وعـــن موضوع الذكريات صور الشعراء ذكرياتهم السرمدية لبيروت وفلسطين على ما أصابها. كما في قصيدة أشعار إدريس بعنوان ذكري من بيروت الغربية:

نسقيه بالدموع

لأجل أريج وعد

لأجل أريج عزم

وقع وفجأة انقطع

من أجل مسيرة طويلة قادمة

تنتظر بكل تأكيد !!!

وعـــن موضـــوع الحرية صور الشعراء رجائهم إلى الاستقلال للـــتخلص من نار الأعداء و دعوا إلى تحرير حقوق فلسطين المسلوبة كما في قصيدة نافعي محمد بعنوان حرر حقوقك :

حرر أرضك

أرض فلسطين

حرر ميدانك

ميدان فلسطين

حرر مسجدك

مسجد فلسطين

حرر مروءتك

مروءة فلسطين

وعـــن موضوع الوحدة تحدث الشعراء عن مدي قوة وحدة الأمـــة الإسلامية في عصر الرسول في مواجهة الأعداء ثم صوروا مدى تفكك الأمة الإسلامية بانهيار وحدتها ومن أثر هذا التفكك أنه مازال بيـــت المقـــدس تحت أيدى الأعداء. وجاء هذا المعني في قصيدة علاء الدين محمد بعنوان بين عصرين:

حتى نهاية الدنيا

لايمكن أن تعاد أورشليم

لو تستمر الحرب التي تقتل

أرواحهم هم

وهى أشد عارالإسلام

خـــاتـــمة

مـــن العرض السابق يتبين لنا أن الموضوع الرئيسي الذي يدور في هـــذا الديوان يدور حول قضية فلسطين و لبنان وما أبدوه الشعراء المالـــيزيون في مواقفهم تجاه مآسي الفلسطينيين واللبنانيين الناتجة عن ظلم الصهيونية وتناولوا مختلف القضايا المتعلقة بفلسطين. كما تحدثوا عـــن إسرائيل واليهود والصهيونية ومنظمة التحرير الفلسطينية ولبنان. وعـــبروا عن آمالهم و دعائهم و اعتراضاتهم و اقتراحاتهم و مشاعرهم متمنـــيين أن تعـــود الســـلطة والحـــرية إلى المستحقين بهما من الأمة الإســـلامية العربـــية في فلسطين ولبنان. ويعد هذا الديوان من أهم ما أصدر في الأدب الماليزي الحديث من شعر المقاومة الذي يعكس مدي إحساس الشعراء بقضايا الأمة الإسلامية الخارجية في نطاق أدبهم.

المصادر و المراجع

كمالا وريزي س س. تنفيس:

الأصـــوات الباطنية للشعراء الماليزيين حول ظلم الصهيونية في لبنان- مجمع اللغة والأدب 1994م، كولالمبور.

من مطبوعات الرابطة (8)

شعـــر

الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله،

عرَّبه وقدّم له

الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

والشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، رائد الشعر البنجابي وقائده دون منازع، هو إمام الشعر الصوفي ليس في إقليم بنجاب فحسب بل في شـــبه القارة كلها عبر التاريخ، وهو يعتبر عند الباحثين لبنة أساسية يقوم علـــيها تـــاريخ الشعر البنجابي، إذ لم يعرف قبله شاعر بنجابي، ليس بين المسلمين فحسب بل بين غيرهم من سكان إقليم بنجاب (أي أرض الأنهار الخمســـة) عبر تاريخه الطويل، فهو، إذن ، أبو الشعر البنجابي، وأول من قـــرض الشعر بلغة بنجاب، ومهد الطريق لشعرائها الذين جاءوا من بعده وقلدوه في لفظ الشعر ومعناه و في أسلوبه الأدبي الذي اختاره للتعبير به، وقد احتفظ التاريخ بشعره الذي وصل إلينا بالوسائط المتعددة المتنوعة التي سوف نعرفها، وأخذ شعراؤنا المعاصرون يقرضون الشعر البنجابي، بأنواعه الكثيرة المتعارف عليها في كل لغة معاصرة من لغات الشرق والغرب، على مـــنواله، إلا أن الفضل دائما يرجع إلى الرائد المتقدم الذي، هنا هو شيخ الشـــيوخ المتصـــوفين الشيخ فريد الذي اكتسب في الشعر البنجابي نفس المكانـــة الـــتي يحتـــلها(ولي) الدكـــني في الشـــعر الأردي أو الـــتي

يستحقها(رودكي) في الشعر الفارسي، أو ما ناله أبودواد الإيادي أو عمرو بـــن قميئة أو عدي بن ربيعة المهلهل، الذي هلهل الشعر العربي أي رققه، والذي هو أول من قصد القصائد العربية، في الشعر العربي، كما صرح به غـــير واحد من أئمة اللغة العربية وآدابها، فذلك هو الفضل الفريد الذي حـــازه الشيخ فريد الدين مسعود الأجودهني في الشعر الناعم النضر للغة أرض الأنهار الخمسة التي لم تزل ولا تزال تروي هذه الأرض الخصبة الطيبة السخية الكثيرة الخيرات كما يروي شعر فريد عقول أهل بنجاب وينورها ويغذيها تغذية معنوية صالحة على تعاقب الأجيال ومرور الأيام!

وقد ولد هذا الشاعر البنجابي الفريد والعالم النبيل والصوفي الفذ، على ما صـــح عند الباحثين المحققين، ونراه صوابا، في النصف الأخير من القرن الهجري السادس وبالضبط في 569هـــ(1186م)ويؤيده ماجاء في سير الأولياء للكرماني وما رواه صاحب أخبار الأخيار الشيخ عبد الحق المحدث الدهلـــوي من مدة حياة الشاعر وتاريخ وفاته، وقد قيل إن مولد الشيخ فـــريد الديـــن مسعود، رحمه الله، 571هـــ ، وقيل 584هـــ ، وأما المكان الـــذي ولد فيه فهي قرية كانت ولاتزال تقع على مقربة من مدينة ملتان العريقة وتسمى"كوثي وال" ومعناها القرية ذات القصر أو الفيلا، وللناس في نطقها مذاهب، والذي صح عندنا هو ما حققه و صوبه الأستاذ الأديب العلامـــة(محمـــد آصف خان) في مقدمة ديوان الشاعر الذي طبع ونشر بتحقيقه وبهوامشه المفيدة ومقدمته الطويلة القيمة، وقد صوب تلك التسمية والـــنطق بـــها بعد سفر طويل شاق قد اختاره خصيصا لهـــذا الغرض،

فوصل إلى ذلك المكان فساءل الناس من أهله عن اسمه في القديم والحديث فقيل له إنها قرية صغيرة لا تزال عامرة وبها قبور آباء الشيخ فريد الذي ولد بها في أسرة عربية مهاجرة تحدرت من قندهار في أفغانستان فنـــزلت بتلك القرية وقد كان جده شعيب بن أحمد من أهل العلم والفضل فعينوه خطيبا بمســـجدها الجامع وقاضيا بمحكمتها، وكان أحد أبنائه البررة الشيخ جمال الديـــن سليمان بن شعيب والد الشيخ الذي تزوج امرأة صالحة من بنات الشـــيخ وجـــيه الديـــن الخجـــندي من القاطنين بالمنطقة وكانت تسمي قرســـوم(ولعل الصواب كلثوم؟!) فهذان الزوجان الكريمان كانا قد رزقا بمولود سعيد قد قدر الله له أن يعرف بالشيخ فريد الدين مسعود من كبار الصـــوفية الجشتية في شبه القارة، وإليه تنتهي السلسة في بنجاب وبه وجد الكثيرون من أتباعها، وقد انتشرت السلسلة في الأنحاء وتشعبت منها فروع لها ليس في إقليم بنجاب فحسب بل في أنحاء شبه القارة كلها، وقد اشتهر أصـــحاب هذه الفروع وعرفوا بخلفاء الشيخ فريد وأتباعه، ولهم دور مهم مفـــيد في دعوة الإسلام وبناء المجتمع الإسلامي في هذه البلاد التي حكمها الملوك المسلمون إلى ألف عام أو أكثر.

وبما أن الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، كان قد عمر طويلا وكاد يبلغ مئة سنة من العمر، قد اشتهر، بين مواطنيه وأهله ومن تبعهم من الأجيال إلى يومنا هذا، "بالبابا" ومعناها بالبنجابية الجد أو من شابـــهه من الكبراء، ولا يزال الناس يذكرونه بذلك اللقب أو الاسم حتى أنه قد صار جزء ا من الإسم العلم له فقالوا:"بابا فريد" كما أنه قد عرف واشتهر على

ألسنة العامة والخاصة بلقب أخر يكاد يكون جزء ا من اسمه العلم وهو "كنز السكر أو معدن السكر" وهذا اللقب يليق به فقد كان، رحمه الله، كنزا من كنوز الحلاوة ومعدنا من معادن الخلق الحسن في حديثه العذب وكلامه اللين وسلوكه الكريم، وقد لقبه بذلك شيخ طريقته ومرشده الصوفي الولي الشيخ قطب الدين بختيار الكاكي، رحمه الله، وذلك أن الشيخ فريد قد كان قامع الشهوات وقاهر اللذات يحب الفقر الغيور ويفضله على الغناء والمال والثروات ويكابد الجوع ليل نهار ويختاره على الشبع عاملا في ذلك بسنة سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي قال الفقر فخري، والذي كان يحب الفقراء ويميل إلى المساكين ويزهد في الدنيا وما فيها من اللذات الفانية والزخارف الكاذبة فيروي أن فريدا كان جائعا مرة من المرات قد أنهكه الجوع وأتعبه، فوضع الحصاة في فيه يعلل بها نفسه فبداله كأن الحصاة قد استحالت إلى قطع من السكر فحكي ذلك لشيخ طريقته فقال له: أنت كنز السكر ومعدنه يا سيدي" فأرسلها مثلا سائرا على ألسنة الناس وسارها الركبان وطارها الأفواه، ولعل ذلك كان من دأبه كلما اشتد به الجوع و لم يجد شيئا من الطعام والشراب و لم يجد له غير الخشب الجاف أو الحصى عاملا في ذلك بما يحكي عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أو ما يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته البررة الكرام أنهم شدوا الأحجار على بطونهم يوم الخندق لأن الحرب طالت وامتد الحصار وقل الطعام فلجأوا إلى هذه الحيلة التي تسد ألم الجوع

وذلـــك معروف يروي في كتب السيرة والتاريخ! وبها عمل الشيخ فريد لكي يستعين بذلك على جوعه وفقره!

وللناس في هذا التلقيب أو التسمية أقوال وآراء وحكايات يطول ذكرها وسردها ويصعب الاستيعاب بها ويضيق بها المكان،فمنها ما يحكى عـــن أم فـــريد الصالحة الحنون أنها أرادت أن يصلى ابنها البار الصلوات الخمـــس في أوقاتها و يواظب عليها و يعض عليها بالنواجذ، وكان فريد الولـــد الصغير يحب السكر والحلوى فقالت له أمه وهى تنصح له وتأمره بالمداومـــة للصـــلوات الخمس والمواظبة عليها:" إنك لوصليت الصلوة في وقـــتها لوجـــدت السكر تحت سجادتك" ثم أخذت تدس السكر تحت السجادة قبل كل صلوة ولكنها نسيت يوما أن تقوم بعملها المعتاد، ودخل وقـــت الصلوة و سارع فريد الولد الصغير إلى صلاته لكى ينتهى منها ثم يعـــثر عـــلى الســـكر تحت سجادته كالمعتاد فإذا به ينهى الصلاة و يرفع السجادة فيجد تحتها السكر و لم تكن أمه قد وضعته و خافت أن الطفل إذا لم يجـــد السكر في مكانه كالمعتاد فقد يظن بربه الظنون، ولكنها دخلت عـــلى ابـــنها فـــإذا به قد وجد السكر وبدأ يأكله كالمعتاد فأعجبت الأم الصـــالحة بالحدث الجلل وتأكدت أن ذلك من كرامة ابنها الصالح الذي ســـيكون له نبأ في المستقبل من الأيام، منذ ذلك الوقت لقبه الناس بمعدن السكر فتناقلته الأجيال على ألسنتها!

ومنها ما حكاه البعض أن الشيخ قد مربه جمَّال يحمل السكر على جملـــه فســـأله الشيخ فريد الدين مسعود عماذا كان على الجمل فخشى

الجمـــال أن يسأل منه الفقير المعدم قليلا من السكر فقال" هذا ملح أيها الفقـــير!" فقـــال فـــريد:" طيب! إنه سيكون ملحا! فبارك الله لك فيه!" واكتشف الجمال أن السكر قد استحال إلى الملح فندم على ما كذب وظن أن ذلـــك مـــن دعائه عليه فعاد إليه و اعتذر فقال له الشيخ لا تحزن فإنه ســـيكون سكرا باذن الله فعاد الجمال فوجد الملح قد استحال إلى السكر وقـــد نظم الحكاية بعض الشعراء،و هو الأمير محمد بيرم خان الملقب بخان خانان أى سيد الخانات،من أتباعه، بالفارسية فقال:

كان نمك جهان شكر شيخ بحروبـــر

آن كز شكر نمك كند واز نمك شكر

" أي أن الشـــيخ فريد الدين مسعود هو معدن الملح و دنيا السكر و شيخ البحر و البر! ذلك الذي يجعل من السكر ملحا ومن الملح سكراً! " فالمهم أن الشـــيخ فـــريد الدين مسعود ، رحمه الله ، لايزال الناس يدعونه بمعدن السكر في شبه القارة كلها!

وكذلك فإن الكثيرين من المؤلفين الذين ترجموا للشيخ فريد الدين و ذكروه في مؤلفاتهم قد رفعوا نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه و جعلوه من سلالته، و من أغرب الأشياء و أطرفها، أنهم ، في نفس الوقت ، جعلوه من سلالة الملك الناسك الزاهد الصوفي الولي إبراهيم بن أدهم، رحمه الله،! وذلك مايأباه التاريخ وينكره المنطق ومما لا يثبت لدينا ألبتة، وقد فصل فيه القول الأستاذ (محمد آصف خان) وفي ذلك غناء عن المـــزيد وملخصـــه إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق ابنا لعبد الله بن عمر بن

الخطـــاب رضـــي الله عـــنهما يسمي"ناصراً!"وأن إبراهيم بن أدهم الذي حكـــم"بـــلخ" في بلاد ماوراء النهر والذي تنازل عن العرش في حق ابنه واختار الزهد في الدنيا لم يكن قرشيا وإنما كان عجليا من ولد منصور بن يزيد بن جابر العجلي ، وأن الشيخ فريد الدين مسعود لم يكن ابن أخت للملك محمود الغزنوي كما أن أسرة الشيخ لم تحكم كابل و لم يقض على حكمهـــا جنكيز خان المغولي و لم يقتل جد الشيخ، فقد توفي الغزنوي في 1030م بيـــنما ولد الشيخ فريد في 1173م فأني يمكن أن يكون ابن أخت محمود الغزنوي، رحمه الله!!

والشـــيخ رحمـــه الله، قد كان من الشعراء المعمرين وقد اختلفت الأقوال وتضاربت الروايات عن عمره الطويل فقيل إنه عاش 93سنة وقيل 95ســـنة، وهـــو الأصـــح عندنا، ونري الشيخ يشكو آلام الحياة الطويلة وتكالـــيفها الثقيلة وأعباء الشيخوخة وأسقامها على دأب الشعراء العُرْب والعجـــم القدامـــي الذين عمروا طويلا، فلما أتعبتهم العوادي والأسقام تضـــايقوا بهـــا وتـــبرموا منها فانبروا يشكون الهرم والشيخوخة وعناءها ومشقتها فمنهم الشاعر العربي الصحابي، من شعراء المعلقات السبع، سيدنا لبيد بن ربيعة العامري رضى الله عنه، وهو الذي يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ومن قول هذا الناس كيف لبيد؟!

وبـــدأ الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، يتعلم العلم ويتدرج فيه ويمر بمـــراحله المختلفة فقرأ القرآن الكريم، وهو طفل صغير، على أمه الصالحة الحـــنون ثم قرأ الكتب المدرسية الابتدائية على والده الفاضل ثم خرج في

سبيل العلم متجها نحو ملتان العريقة وهو لا يزال صبيا مراهقا فاشتغل على أبـــرز علمائها طالبا قارئا هناك وكانت من أهم المراكز الثقافية في وقتها فاســـتفاد مـــن علمائها الأفاضل و أساتيذها الكبار ولا سيما من الشيخ مـــنهاج الديـــن الترمذي الذي استفاد منه كثيرا و أخذ عنه علما غزيرا، وبالصدفة الطيبة أدرك بها شيخ المشائخ العالم المتصوف قطب الدين بختيار الكاكي أو الكعكي الأوشي ثم الدهلوي، رحمه الله ، و ذلك في سنة أربع و ثمـــانين و خمسمائة من الهجرة، على مارواه اللكنوي في نزهة الخواطر، فـــبايعه الشيخ فريد الدين مسعود وأراد أن يرافقه إلى دهلي و يصاحبه في الظعـــن و الإقامـــة إلا أن الكعكي لم يسمح له بذلك و أمره أن يكمل دراســـاته المتداولة أولا فامتثل الطالب الشاب بأمر شيخ طريقته و قرر في نفسه أن يخرج إلى العواصم الثقافية الإسلامية في وقته فرحل إلى قندهار و مكـــث بها خمس سنوات يدرس و يستفيد من علمائها ثم نراه يعتزم على الأســـفار الطويلة البعيدة إلى البلاد الإسلامية الواسعة و السير في الأرض عـــاملا بقـــول الله عزوجل:"قل سيروا في الأرض" ليشاهد المعالم والآثار فيتعظ بها و يجمع الحكم إلى العبر، ويقابل رجال العلم و المعرفة والتصوف و الطـــريقة ليتمتع برؤيتهم والحديث إليهم والاستفادة منهم ، وفي خلال أســـفاره هذه الطويلة قد أدرك العديد من أعلام التصوف العظام و أولياء الله الكـــرام، و مـــنهم الشيخ الكبير والولي الشهير شهاب الدين عمر بن محمـــد الســـهروردي والشيخ سيف الدين الباخرزي والشيخ سعد الدين الحمـــوي والشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني وغيرهم الكثيرون من المشائخ

الصـــوفية وأصـــحاب الطـــرق المشهورة ، رحمهم الله، على ما صرح به اللكنوي وغيره.

و أخيرا، وليس آخرا، قد لجأ الشيخ الفريد إلى جناب شيخه الولي قطب الدين بختيار الكاكى أو الكعكي بعاصمة دهلي حيث وجد بغيته و اســـتراح إلى رؤيته واستقر بكنفه فاشتغل بالعبادات والأوراد وذكر الله ، وهنا فاض طبعه الفياض بالشعر العربي و الفارسي فاشتهر وذاع صيته كما ظهـــرت مـــنه الخوارق والكرامات الصوفية والتصرفات العجيبة مما جعل الـــناس يقبلون عليه ويز عجونه فتضايق بهم و استأذن شيخه للسفر، فمن شعره الفارسي ينصح الصوفية ويوصيهم بالابتعاد عن الملوك والحكام:

كر وصال شاه مي داري طمع ازوصال خويشتن مهجور باش

أي أنك إذا كنت تطمع في اللقاء بالملوك والحكام وحرصت على مالديهم من العز و الجاه والسلطة والأموال فتأكد بأنك سوف تفقد نفسك وتحرم من الوصال بحبيبك الكريم واللقاء بربك الجليل و التشرف بحبه وغفرانه!"

ومن ذلك قوله في العبرات التي يسكبها المحب المهجور وراء حبيبه الظـــاعن وهـــو يمشي مفارقا إياه، فيكاد يمسكه بكمه ليمنعه من الفراق والابتعاد عنه قائلا:

دو شينه شبم دل حزينم بكرفت و أنديشه يـــار نازنينم بكرفت

كفتم بسروديده روم بردر تـــــو أشكم بدويد و آستينم بكرفت

" قد كنت حزين القلب بالبارحة حيث غلبت على لبى و فكرتي ذكـــريات عـــن حبيب جميل فأخذتني بمجامع قلبي فقررت في نفسي أيها

الحبيـــب أن آتـــى إلى بابك ما شيا بالرأس والعين إلا أن دموعي سبقتني فسارعت وراءك لتأخذك بكمك أو ذراعك !!"

وعـــندما أشتد إقبال الناس عليه وتضايق بهم وبما يريدون منه من مطالـــب الدنيا و يطلبون إليه الحوائج الدنيئة، استأذن شيخه الكعكي في مغادرة العاصمة والتحول منها إلى مكان مجهول بعيد عنها فأذن له الشيخ بالسفر فخرج إلى مدينة (هانسي) العسكرية فأقام بها اثنتى عشرة سنة وقد تحدث اللكنوي عن إقامته بها فقال: " ثم رحل إلى مدينة هانسي وأقام بها اثـــنتي عشرة سنة و اشتغل بالرياضة الشديدة والمجاهدة القوية فظهرت منه الخوارق و الكرامات والتصرفات العجيبة وتقاطر عليه الناس".

وكـــان يقضـــى جل وقته بهذه المدينة بمسجدها الجامع في تلاوة القرآن الكريم والعبادات وذكر الله عزوجل، وفي هذه المدينة نفسها قدتَمَّ اتصاله بخطيب جامعها الشيخ جمال الدين الهانسوي الذي بايعه وصارمن أتباعة المخلصين، وجمع الحب في الله بينهما، والشيخ جمال الدين هذا ، هو من أبرز خلفائه و أخلص أحبائه.

وحـــدث به في مدينة هانسي ما كان قد حدث به وهو في مدينة دهـــلي العاصمة حيث اشتهر بزهده وكراماته مما جعل عامة الناس يقبلون عليه ويزعجونه صباح مساء فاعتزم على مغادرة المدينة وقرر في نفسه أن يعود إلى مسقط رأسه قرية كوثي وال المعروفة على مقربة من مدينة ملتان التاريخية ولكنه لم يمكث بها طويلا لأن الناس أثقلوا عليه وأزعجوه فتضايق بهم وهرب منهم متجها نحو لاهور حتى وصل إلى مكان بين ملتان ولاهور

كـــان يســـمي (أجودهن) فقرر أن ينـــزل بظهر القرية ليدعو أهلها إلى الإســـلام واخـــتار أجمة من أشجار (الكرير) فلجأ إلى أكبر شجرة منها فجلس في ظلها وأخذ يعيش على ثمرها وقشرها وورقها ويعبد ربه ويشكر نعمـــته، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال وأخذ الناس يأتون إليه من كل ناحية وصوب و يعتنقون الإسلام ويبايعون الشيخ الذي بني لنفسه حجرة مـــن الآجر والطين ليعبد الله فيها مع أتباعه، وهنا تزوج الشيخ من ثلاث زوجات فرزق منهن بالأولاد، وقد عرف ذلك المكان فيما بعد بمدينة (باك بتن) أي المورد الطاهر، وبها مدفنه وضريحه.

وقد ترجم له صاحب أخبار الأخيار فقال ما معناه:

"هـــو فريد الحق والأمة والدين الشيخ فريد الدين مسعود خليفة الشـــيخ الصـــوفي قطب الدين بختيار(الكاكي الدهلوي)،رحمه الله، وممن اســـتفاد مـــن ولي الهند وسلطانها الروحي الشيخ معين الحق والدين (أي الشـــيخ معين الدين الجشتي الأجميري)،رحمه الله، والذي أفاد عليه بالكثير من الزهد والمعرفة وهو الذي قال فيه وقدرآه عند الشيخ الكاكي:"إنك يا بختـــيار قـــد قبضـــت على صقر مكانه فوق سدرة المنتهى أي هو صقر التصـــوف والـــزهد والفقر، وقد كان الشيخ فريد هذا من أعيان الأولياء وكبار المتصوفين وكان غاية في الرياضة الصوفية والمجاهدة والفقر والزهد، كما أنه كان آية في الكشوف الروحية والكرامات الصوفية، وكان علامة من علامات الحب لله عزوجل ورمزا من رموز العشق الصوفي، وقد امتاز بذوق الرياضة والعبادة والتقشف وكان يحاول دائما أن يعيش مختفيا بعيدا

عن أنظار الخلق ومن ثم ظل يتنقل من مكان إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى وأخيرا ألقى عصا الترحال والتسيار في مكان مجهول بعيد عن الناس يسمي"أجودهن"(ومن ثم عرف الشيخ فريد بالأجودهني)، وكان في البداية عبارة عن قرية صغيرة نائية وكان أهلها جفاة أجلافا يرون الظاهر ولا يحفلون بالباطن وكانوا يبغضون الدراويش والأولياء، فقال الشيخ وهو ينزل بالمكان: "هذا مكان حري بنزولي به !" فنزل بظاهر القرية وسكن بها حيث لم يكن بها أحد يعرفه ولا يسأل عنه شيئا، وكان منزله تحت شجرة الكرير ذات أشواك مؤذية وثمرات حامضة فهناك كان الشيخ يشتغل بذكر الله وعبادته والتفكير في آياته الكونية، وكثيرا ما كان يشتغل بالذكر والعبادة بالمسجد الجامع، وهناك رزق بالأولاد الذين كانوا يعيشون حياة الفقراء والمعدمين ويكابدون الجوع والفاقة والمحنة والعناء، وبما أن الشيخ كان على أقوى برهان من الدين والحب لله والإخلاص له، فمن ثم لم يستطع أن يختفى عن الناس فظهرت أحواله على الناس فسرعان ما عرفوه وأقبلوا عليه من كل ناحية وصوب!

وقد ذكره اللكنوي في نزهة الخواطر وتحدث عن زهده وكراماته ومكانته في التصوف وعن خلفائه الذين أخذوا عنه الطريقة الصوفية فقال ما نصه: " وكان من أكابر أولياء الله وصاحب تصرفات عجيبة وجذب قوى، له في أحوال الباطن شأن كبير بين المكاشفين، مشهور في ظهور الآفاق، ومذكور في بطون الأوراق، (وقد) أخذ عنه (التصوف) خلق كثير منهم الشيخ الإمام المجاهد نظام الدين محمد (أولياء) البدايوني والشيخ علاء

الدين على الصابر الكليريّ والشيخ جمال الدين الخطيب الهانسوي والشيخ بدر الدين إسحاق الدهلوي!"

ومن أطرف ما يحكى عنه كما جاء في نزهة الخواطر بأنه كان قد بعث إلى السلطان غياث الدين بلبنْ (من ملوك دهلي وسلاطينها المماليك) كتابا يشفع فيه لرجل فكتب له: "رفعت قصته إلى الله ثم إليك فإن أعطيته فالمعطى هو الله وأنت المشكور، وإن لم تعطه شيئا فالمانع هو الله وأنت المعذور!"

ويروي أنه كان يلبس الملابس البالية المرقعة فجاء له رجل بملابس له جديدة فلبسها فلم يلبث أن خلعها وأعطاها للشيخ نجيب المتوكل من أتباعه وأقاربه قائلا له: "كنت أشعر براحة في ملابسي هذه البالية مما أشعر بها فيها!!"

وقد روى الشيخ المحدث الدهلوي، رحمه الله، أن الشيخ فريد الدين مسعود كان يكثر من الصوم النفلي وكثيرا ما كان يفطر على كأس من المشروب فكانوا يأتون بها للشيخ فكان يقسم النصف منها على من حضر عنده من الأصحاب والأتباع فلم يكن يبقى له منها إلا ثلثها وكان يشرك معه في هذا الثلث من حضر لديه مؤخرا ثم يأتون له بخبزين فلم يكن يأخذ منهما إلا قليلا وكان يوزع ما تبقي منهما على من حضر عنده ثم لم يكن يأكل شيئا إلا عند الإفطار من اليوم المقبل، وكان عليه دثار من الصوف يقضى فيه النهار فإذا أظله الليل جعل من الدثار مضجعا و لم يكن يغطى جسده كله بل كان إذا غطى به رأسه عريت رجلاه!

وقد امتاز الشيخ وانفرد بكثرة الذكر لهادم اللذات وقلة الطعام مع قلـة الكـلام، وبالغ في الزهد والتقشف والرغبة عن الدنيا وما فيها من الزخارف و اللذائذ والألوان، وكان يكثر من العبادة والذكر والقيام ليلا والصوم نهارا منذ الطفولة إلى الكهولة وحتى آخر أنفاسه، وكان يأتيه كثير مـن الضيوف والمسافرين والفقراء والمساكين فيطعمهم ويسقيهم ما تيسر لديـه من الأكل والشرب والذي كان يأتيه غزيرا من قبل أتباعه الأغنياء ومريديه المؤسرين في أكثر الأحيان ويسهر على خدمتهم ويفضل راحتهم عـلى راحـته وكان إذا أتاه أحد من الأتباع والمريدين فأراد منه البركة والدعـاء له أو الـتعاويذ والرقى أوصاه بالمواظبة على العبادة وذكر الله وتلاوة القرآن الكريم، أو دله على آية كريمة يتلوها في الأوقات المحددة أو دله على أدعية مأثورة عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ويـروى أن الشـيخ فريد قد مكث بدهلى العاصمة عند شيخه القطـب الكاكي أو الكعكي مدة من الزمان فإذا أراد أن يغادر العاصمة ويودع شيخه الذي كان في حلقة من أصحابه وأتباعه، اعلن الكعكى على رؤس الأشهاد بأنه قد اختار فريدا يخلفه على طريقته الصوفية و ينوب عنه لـلهداية والإرشـاد وأوصاه أن يأتي إلى العاصمة بعد وفاته ويتولى مسند الإرشـاد من بعده وأنه سوف يجد عصاه ونعليه وخرقته الصوفية الروحية أمانـة عند القاضى حميد الدين الناجورى، أحد أتباعه، وأما الشيخ فريد الديـن مسـعود فقد تبع شيخه القطب الكاكى وحذا حذوه حذو النعل بالـنعل فـأعلن إذ أحس بقرب الأجل في جمع من الأصحاب والأتباع

والمريدين، فقال: إن الذي سينوب عني وقد اخترته خليفة من بعدى، هو الشيخ نظام الدين المعروف بالأولياء الذي كان عالما كبيرا وأذكى الأذكياء في وقـــته وكان الناس يرون فيه موهبة القيادة والحكم لو مال إلى الدنيا، ولكنه آثر الآخرة على الدنيا ورافق الزهاد والمتصوفة واختص بالشيخ فريد الدين مسعود الذى آثره على أولاده فأوصى له بالخلافة من بعده، ونظام الديـــن الدهلوي هذا قد عرف بلقب "الأولياء" ومن أتباعه الشيخ نصير الدين الدهلوي الذي لقبه الناس "بمصباح دهلي"، والشاعر الفارسي الكبير والأديب العلامة والموسيقار الشهير أمير خسرو الدهلوي.

وقـــد توفى الشيخ فريد الدين مسعود الأجودهني في الخامس من المحـــرم سنة 664هـــ (السابع عشر من أكتوبر سنة 1265م) وله من العمر 95 ســـنة على ما رواه الكرماني في سيرالأولياء ومنه أخذه الشيخ المحدث الدهلـــوي في أخـــبار الأخيار وعنه اللكنوي في نزهة الخواطر، وقد رثاه الشاعر الفارسي أمير خسرو الدهلوي وضبط تأريخ وفاته في شعره، ولكنه على خلاف ما ذكرناه والذي صح عندنا.

وقد سجل خليفته نظام الدين أولياء الدهلوي بخط يده من بعض أقوالـــه الجميلة وحكمه الرائعة المفيدة فقد قال الشيخ فريد، على ما رواه خليفـــته نظام الدين: "أربعة أشياء قد سئل عنها سبع مئة شيخ من شيوخ الطـــرق الصوفية وكان جواب الكل واحد وهي: من أعقل الناس؟ تارك الذنب! ومن أكيس الناس؟ الذي لا يغتر بشيئ! ومن أغني الناس؟ القانع؟ ومن أفقر الناس؟ تارك القناعة!"

- ومن أقواله الحكيمة بالعربية أيضا:
- إن الله يستحيي من العبد أن يرفع إليه يديه ويردهما خائبتين!
- إذا كان فلا حزن وإن لم يكن فلا حزن! (ترجمة من الفارسية).
- جذبة من جذبات الحق خير من عبادة الثقلين.
- الصوفي يصفو به كل شئ ولا يكدره شئ.
- لو أردتم بلوغ درجة الكبار فعليكم بعدم الالتفات إلى أبناء الملوك!
- وكان يكثر من رواية قوله عليه الصلاة والسلام: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس !
- وكان يروى قول شيخ الإسلام جلال الدين الرومي الذي قال: الكلام سكر القلوب، فزن أول الكلام وآخره، إن كان لله فتكلم وإلا فاسكت!
- يوم الحرمان ليلة المعراج للصوفية!
- لا توصوا بأمر مهم إلى الرجال المهملين (ترجمة من الفارسية).
- إذا لبس الصوفي ملبسا فعليه أن يعتقد بأنه يلبس كفنه (ترجمة من الفارسية)
- الآفة في التدبير والسلامة في التسليم.

- العلماء أشرف الناس والفقراء أشرف الأشراف.
- الفقير بين العلماء كالبدر بين كواكب السماء.
- أرذل الناس من اشتغل بالأكل واللباس.

فهـــذه هى أقوال الشيخ فريد بالعربية (وقد ترجمنا ثلاثة منها من الفارسية إلى العربية وهى التي صرحنا بها في نهايتها بين القوسين)والغرض مـــن سردها وتسجيلها هنا إنما هو إعلام القارئ العربي بما كان يقدر عليه الشيخ ويملكه من الكفاءة باللغة العربية، وذلك يدل على صحة ما يروى عن الشيخ أنه قال الشعر بالعربية والفارسية والأردية بالإضافة إلى ما أبدع بالبنجابية من روائع الشعر، إلا أننا لم نعثر على شئ من شعره العربي وقد وصـــل إليـــنا القليل من شعره الفارسي كما يروى له الشعر الأردى أو الهندوى ومن ذالك ما رواه بعض المؤلفين في كتب التاريخ للشعر الأردي.

ومما يدل على أن الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، كان على مكانة من المعرفة باللغة العربية وعلومها و دابها هو أن تلاميذه المختصين به أو أتـــباعه وخلفاءه قد كانوا من علماء اللغة العربية وأدبائها وكانوا على مكانة فيها، ولهم مؤلفات بالعربية وقد اعترف الناس بفضلهم ومكانتهم في العربـــية وعلومهـــا، فمـــنهم الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد النعماني الهانســـوي الخطيب الذي ينتمى إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، رحمه الله، وقد عرف الشيخ الجمال الهانسوي هذا واشتهر بصـــفته خطيبا بالمسجد الجامع لمدينة هانسي العسكرية وكان الشيخ فريد الدين مسعود قد نزل بهذه المدينة فمكث بها اثنتي عشرة سنة وقد طالت

إقامته بها لأنه أحب مريده الشيخ الجمال الهانسوي حبا جما وكان الشيخ يقول: " الشيخ الجمال إنما هو جمالنا!" وقد صرح به الفريد لمريده الحبيب هذا غير مرة قائلا": يا جمال! إنني لأود أن أهيم حول رأسك ليل نهار أي أحب أن لا يغيب رأسك ووجهك عن نواظرى وعيوني!" وكان الشيخ الجمال هو الآخر يحب شيخه الفريد وكان معجبا به وبعلمه وزهده وكان يتبعه في حياته الروحية ويحذو حذوه حذو النعل بالنعل في الفقر والزهد في الدنيا والإنهماك في العبادات والأذكار والأوراد حتى أن الشيخ فريد كلما سمع بفقره وزهده وترفعه عن زخارف الدنياومتاعها وأنه يكابد الجوع ويعاني من الفقر ويفضل حياته تلك على متعة الحياة وراحتها، فرح به كثيرا ودعا له بالتوفيق والنجاح فى طريقه الصوفي، وكان الفريد يثق به للغاية ويكرمه كثيرا حتى أن الفريد لم يجز بالخلافة، وهو بمدينة هانسي، لأحد من الناس إلا إذا وافق به الشيخ الجمال، وكان يقول الشيخ الفريد: "إن الذي رفضه الجمال لن يقبله الفريد ولن يجيز له بالخلافة أبدا"، وكان الشيخ الجمال يجيد اللغات الثلاث، العربية والفارسية واللغة المحلية ، التي كان يخطب بها في المسجد الجامع وهى الهندوية أو الأردية! وله شعر بها ومؤلفات وله رسالة في التصوف بالعربية المسجعة يقول في فصل من فصولها وهو يتحدث عن الفقر:

"الفقر خلق شريف يتولد منه الصلاح والعفة والزهد والورع والتقوى والطاعة والعبادة والجوع والفاقة والمسكنة والقناعة والمروة والفتوة والديانة والصيانة والأمانة والسهر والتهجد والخضوع والخشوع والتذلل

والتواضـــع والـــتحمل والكظم والعفو والإغماض والإشفاق والإنفاق، والإشـــارة والطعام والإكرام والإحسان والإعراض والإخلاص والانقطاع والانفصـــال والصـــدق والصبر والسكوت والحلم والرضا والحياء والبذل والجـــود والسخاوة والخشية والخوف والرجاء والرياضة والمجاهدة والمراقبة والموافقة والمرافقة والمداومة والمعالمة والتوحيد والتهذيب والتحرير والتفريد والوقـــار والمـــداراة والمواساة والعناية والرعاية والشفقة واللطف والكرم والـــتعقد والشكر والفكر والذكر والأدب والاعتصام والاحترام والطلب والرغبة والغيرة والعبرة والبصيرة واليقظة والحكمة والحسبة والهمة والمعرفة والحقـــيقة والخدمـــة والتسليم والتفويض والتوكل والتبتل واليقين والثقة والفـــناء والاستقامة وحسن الخلق، وكل فقير وجدت فيه هذه الصفات، سمى فقيرا كاملا، وإذا فقدت، لم يسم فقيراً"

وهـــذا ليس رصيدا لغويا محضا أو سرد المفردات اللغوية فحسب وإنمـــا هـــى مصطلحات صوفية تدل على الأحوال والمراحل في السلوك الصوفي وتعبر كل كلمة منها عن حالة أو مقام أو مرحلة أو منـــزلة عند المتصـــوفين، وقد استقصاها الشيخ الجمال أحسن استقصاء و أجملها أجمل إجمـــال في رسالته القصيرة هذه لكى تدل على براعته وبراعة أصحابه من سلسلة أتباع الشيخ الفريد وتلاميذه في مجال العربية وآدابها واهتمامهم بها فـــيما كانوا يتحدثون به في حلقاتهم الصوفية ومجالسهم العلمية وندواتهم الأدبية والثقافية في وقتهم!

ومـــن أهم الملامح عن حياة الشيخ وسيرته والميزات التى امتاز بها شعره بين شعر صوفية الهند في عصره وفيما بعده من العصور أنه كان:

1. يـــزهد في الدنيا ويبالغ في كرهه لها ونفوره منها وكان يرغب رغبة ملحة فيما عند الله من نضرة النعيم في الآخرة ولقائه يـــوم الجزاء، وفوق ذلك كله أنه كان يحب لقاء الله ويبحث عن وجهه الكريم بحث العاشق الولهان عن حبيبه، وكان يأمل ويؤمن بالـــنظر إلى وجهه الكريم ورؤيته التي سوف يرزق بها أولياء الله المتقون وعباده المقربون إليه، حيث وعدهم بها فقال: "وجوه يؤمئذ ناضـــرة إلى ربهـــا ناظـــرة (القـــيامة 22-23). وهؤلاء هم عباده الصـــادقون المخلصون قد أحبوا الله فأحبهم وبلغوا الغاية في ذلك فـــنالوا كرامة عند الله فإذا نادوه سمع نداءهم وإذا دعوه استجاب دعـــاءهم وعن هؤلاء يقول سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث القدســـي عـــن الرسول المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي يقول: "من آذى لى وليا فقد استحل محاربتي!" وهم الأبرار الذين لو أقسموا على الله لأبرهم في قسمهم، وعنهم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك رضى الله عنه!"

والزهد في الدنيا من سنة الأنبياء، ولا سيما سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي يقول: "من زهد في الدنيا علمه الله تعالى بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى" (رواه في كنـــز العمال 3:6149).

و كما كان يعمل بسنة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الكريم الذي كان من أزهد الناس وأكثرهم حبا للفقر الغيور وكان يقول: " إن أخـــوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة! ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا و إن الآخـــرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون! فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل!"

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بالزهد في الدنـــيا ليكون من أهل الآخرة، وأخبره بما يترتب على ذلك من النتائج فقال: "ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك" (رواه ابن ماجة).

وهذه هي أم المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله عنها، تخبرنا عن الظـــروف الـــتي مرت بها الأسرة النبوية الكريمة من الفقر والفاقة وتحمل الشدائد في سبيل الله من أجل الآخرة، فتقول: "ما شبع آل محمد منذ قدم المديـــنة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض!" وقد سألها ابن أختها عـــروة بن الزبير عن عيش الأسرة النبوية الشريفة بعد الهجرة فقالت: "إننا كـــنا نعـــيش على الأسودين التمر والماء!"، وقد سئلت عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد أن صار مؤسس دولة إسلامية و رئيسها الأول، وأخـــذت الغنائم تأتيه صباح مساء ولكنه كان ينتهى من تقسيمها وتوزيعهـــا عـــلى مـــن يستحقها من أهل المدينة من الفقراء والمساكين

والمحـــتاجين قبل أن ينام، فقالت: "ما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــط غـــداء لعشـــاء ولا عشاء قط لغداء، ولا اتخذ من شئ زوجين، لا قميصين ولاردائين ولا إزارين، ولا من النعال، ولا رئ قط فارغا في بيته إما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيط ثوبا لأرملة!"

وما دامت هذه هى تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتوصياته لأمته وسنته الطيبة، وما دامت هذه هى الحياة العملية التى عاشها بين أهله وأمـــته فأنى لهؤلاء الصوفية الاتقياء والأولياء المقربين أن يقبلوا حياة البذخ والإســـراف أو يرضـــوا بها وهم يتبعون سنته صلى الله عليه وسلم فيما يقولـــون أو يفعلـــون ولا ينحرفون عنها قيد شعرة مهما كانت الظروف والأحـــوال ومهمـــا كانـــت الفتن والجواذب والمغريات من نعم الدنيا وزخارفهـــا! وكذلك كان الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، الواعظ الشـــاعر والداعية المتصوف وقد ظلمه الناس الذين قالوا عنه وادعوا بأنه كان يبالغ في الكف عن الطعام ويغلو في حبه لحياة الفقر والفاقة والجوع! إنـــه لم يبالغ و لم يغلو في شئ أبدا وإنما كان صوفيا عاملا متشرعا متدينا يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إنه قد زهد في الدنيا ونعيمها وزخارفها لأنه فضل عليها حياة الآخرة ونعيمها الذي لا يفنى ولا ينفد، وإنما هو باق لن يزول، ولأن القرآن الكريم يقول لكل نفس مؤمنة تحب الله ورضاه وتحب الجنة ونعيمها:

"واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلنه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الريح، وكان الله على كل شيءٍ مقتدرا. المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والبقيت الصّلحت خير عند ربك ثوابا وخير أملا!" (سورة الكهف 45-46).

3. ونرى الشيخ، رحمه الله، يكثر في شعره من ذكر الموت وهول القبر وذلك أيضا لا يخالف الشريعة الإسلامية كما يراه البعض وإنما هو يوافقها تمام الموافقة لما ثبت من القرآن والسنة أن نزع الروح وسكرة الموت لحظة عصيبة على المرء كما أن هول القبر وعذابه شديد مخيف، ومن دأب الواعظين الذاكرين أنهم يذكرون المؤمنين بهاتين المرحلتين من مراحل السفر الإنساني ويعظونهم بالاستعداد لهما، والإنسان بطبيعته يهاب الموت ويخاف القبر ولا يزال تحيد منهما وهو حي، وقد تحدي الكتاب العزيز اليهود الذين كانوا يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الدار الآخرة لهم من دون الناس، أن يتمنوا الموت لأنه يوصلهم إلى الله ويقربهم منه، ولكنهم لا يتمنونه ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم، وأما الإنسان المؤمن الصالح الذي استعد لهاتين المرحلتين فإنه لا يخافهما بل يرحب بهما ويسارع إليهما لأن الموت يقربه من الله وينهى حياة البلاء والمحنة في الدنيا فهو يلقاه باسما راضيا، فهذا هو سيدنا أبو ذر الغفارى رضى الله عنه يتحدث عن الدنيا الفانية وعن الإنسان الغافل من الموت والقبر فيقول: "يولدون للموت ويعمرون للخراب

ويحرصـــون على ما يفنى ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان الموت والفقر!"

(4) ويحكـــى عنه أيضاً أنه كان يفضل الوحدة والخلوة كما أنه كان يعرض عن الناس ويبتعد عنهم فأما الوحدة أو الخلوة فمما يحتاج إلـــيه الصوفي الزاهد العابد ليجد فرصة العبادة ويذكر خلالها ربه دون الإزعاج والإحراج، وأما الإعراض عن الناس والابتعاد عنهم فذلـــك مما لم يثبت عنه في شعره وما جاء أنه كان يتحاشى الناس ويهـــرب عـــنهم فقد كان ذلك لأن طلاب الدنيا الجهال كانوا يـــلجأون إلـــيه لقضاء الحوائج الدنيوية ويقبلون عليه ليتباركوا به وذلـــك مما لم يجز في الشرع ولم يرض به الشيخ إذ هو متصوف داعـــية كان يدعو الناس إلى دين الله ويعظهم ويوصيهم ويصلح أعمالهم وينصح لهم بالخير والعمل الصالح وكان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد اختار له السكن بين الأحلاف والجفاة من الـــناس الذيـــن لم يعـــرفوا الدين وكانوا يكرهون الدعاة إلى الله والوعاظ بالخير والعمل الصالح وقد أسلم الكثيرون منهم على يديه ودخلـــوا في ديـــن الله وأحبوا الشيخ حتى استحال ذلك المكان الوحشـــى إلى مدينة من الأنس والحب وسمى بالمورد الطاهر وبه مدفن الشيخ وضريحه اليوم كما مربنا!

والشـــيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، ليس رائد الشعر البنجابي والشعر الصوفي في شبه القارة فحسب وإنما هو أول من قال الشعر بالأردية

والهـــندية أو الهندوية بالإضافة إلى قرض الشعر باللغتين العظيمتين العربية والفارســـية، فهو، إذن، شاعر متعدد اللغى، إذا صح هذا التعبير، وبذلك تتضـــح وتتجلى المكانة الأدبية والثقافية التي يحتلها الشيخ في تاريخ آدابنا والصـــوفية الجشـــتية في البلاد، ومن ثم قد عرف عند أهل طريقته بشيخ الإسلام وشيخ الشيوخ وإمام الأئمة، فقد حظى العديد من خلفائه بالإمامة الصـــوفية كالشيخ نظام الدين أولياء في عاصمة الهند دهلى والشيخ على صـــابر في كلير والشيخ جمال الدين في هانسي والشيخ بدر الدين إسحاق في بنجاب وغيرهم كثيرون.

وقد عرف عدد لا بأس به من الشعراء في العصر الغزنوي "بشعراء ذوى اللسانين أي العربية والفارسية" فقد كانوا يجيدون اللغتين ويتقنونهما فيقرضـــون الشـــعر بهما وذلك حين بدأت العربية تتخلف بأسباب ومنها ضـــعف القـــوة السياســـية التي كانت تساندها وتدافع عنها ومنها ذلك الأســـلوب المقامـــاتي المتكلف العقيم من السجع والقافية الذي ثقل على الألسنة ونفروا منه فأخذت الفارسية الفتية الناهضة تحل محل العربية، ليس في الديـــوان الملكي والمكاتب الرسمية فحسب بل في مجال الثقافة والأدب أيضـــا، و لم تعـــد للعربية مكانة غير المكانة الدينية بحكم القرآن والحديث النـــبوي فقد ظلت ولا تزال لغة الدين والعقيدة حتى يومنا هذا! وقد نشأ عدد غير قليل من الشعراء ذوى اللسانين في العصر الغزنوي وعندما دخل المســـلمون، عربا وأتراكا ومغولا إلى شبه القارة، لم يفرضوا أو قل إنهم لم يـــريدوا أن يفرضوا العربية أو الفارسية على المواطنين وإنما فضلوا التفاهم

والتخاطب معهم في لغاتهم المحلية وقد أطلق المسلمون على كل لغة محلية اسم اللسان الهندي أو الهندوي فكان العلماء والأدباء والشعراء والدعاة يتحدثون أو قل أخذوا يحاولون أن يتحدثوا إلى المواطنين بلغاتهم المحلية ويستخدمون في حديثهم كثيرا من المفردات العربية وقليلا من المفردات الفارسية كما أن الشعراء بدأوا يقولون الشعر بالعربية والفارسية واللغة المحلية التي أطلقوا عليها اسم اللغة الهندوية في البداية والهندية في النهاية والأردية أخيرا، وعرفوا بشعراء اللغات الثلاث، ومنهم أبوالعلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي اللاهوري ومسعود سعد سلمان اللاهوري وأبو الفرج الروني اللاهوري في العصر الغزنوي، والأمير خسرو الدهلوي في عصر السلاطين، ولبعضهم دواوين شعرية بهذه اللغات الثلاث، وأما الشيخ فريد الدين مسعود فهو ليس شاعر اللغات الثلاث فحسب بل هو شاعر كثير اللغي، فقد قيل إنه قال الشعر بالعربية والفارسية والهندية والأردية (والفرق بين الأردية والهندية أنه إذا كثرت المفردات العربية والفارسية فهو شعر أردي وأما إذا كثرت المفردات السنسكريتية فهو كلام هندي!!).

و لم نعثر على شعر الشيخ العربي والذي ينسب إليه هو ليس له وإنما جري على لسانه أو تمثل به الشيخ في حديثه الجاري فظن أتباعه أنه للشيخ فمن ذلك ما يروي لعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه كما في ديوانه والمصادر العربية الأدبية الأخرى وقد ظن الكرماني وغيره للشيخ فريد الدين مسعود :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال

الأقارب كالعقارب في أذاها فلا ترضي بعم ولا بخال

وينسب لعلي كرم الله وجهه كما في ديوانه ونفحة اليمن، وقد جري على لسان الشيخ فظن الناس أنه له:

لـــوكان هذا العلم يدرك بالمني ماكان يبقي في البرية جاهل

فاجهد ولا تكسل ولاتك غافلا فنـــدامة العقبي لمن يتكاسل!

ولقـــد قال بعض الشعراء قصيدة عربية مدح بها شيخه فريد الدين مسعود ومنها هذان البيتان (البسيط):

البدر يطلع من فريد جبينه والشمس تغرب في شقائق خده

تلك الجمال بأسره فكأنما حسن البـــرية كلها من عنـــده

وأما عن شعره الفارسي فإن أصحاب التراجم للشيخ فريد الدين مسعود قد أوردوا له العديد من الرباعيات(أو الدوبيت) والأبيات المفردة ولكـــنهم لم يدلوا على ديوانه الفارسي، وهذه الرباعيات والأبيات المفردة وإن كانت قليلة، ولكنها تدل على أن قائلها شاعر فارسي كبير قادر على الإبداع والابتكار بأسلوب فارسي لبق رزين قد مر صاحبه بمراحل الخبرة والاكتســـاب حتى استطاع أن يأتي بهذه الروائع والبدائع من الفن، ومن ذلـــك قوله في رباعية يتحدث فيها عن حبه لله عزوجل وما يعاني منه في ذلك من الكتمان ويكابد من الألم:

عشق تو مرا أسير وحيران كرده است

درکوئي خرابات بريشان كرده است

بـــاين هـــمه رنج ومحنت أي دوست

اسرار تو در دلم كه بنهان كرده است!

ومعناه: "إن حبك قد استأسرني وأدهشني يا حبيبي حتى كأنني لازلت أهيم في زقاق الحانوت! ولكنني رغم هذا الألم والبلاء يا حبيـــبي! قد أخفيت أسرار حبك في قلبي و لم أسمح لأحد أن يطلع عليها!"

ومن ذلك رباعية أخري يتحدث فيها عمن يدعي الزهد والنسك وخدمـــة الخلق ولكنه، رغم ذلك، لا يمتنع عن الغضب والحقد و الإيذاء وجرح العواطف والمشاعر لخلق الله:

كيـــرم كه بشب نماز بسيار كني

در روز دوائي شخص بيمار كني

تـــادل نكني زغصه وكين خالـــى

صد خرمن كل برسريك خاركني!

ويـــريد أن يقول:"إنني أفترض بأنك تكثر الصلوات والذكر ليلا وأنـــك تقـــوم بعيادة المرضي وخدمتهم ولكنك ما دمت تكن في صدرك غضبا وحقدا وغيظا فكأنك تجرح المئات من الأزهار بشوكة واحدة!"

وـــله شعر أردي مزيج من المفردات الفارسية والمحلية وقد نال به الأولية و الريادة في تاريخ الشعر الأردي، وذلك فضل الله يؤتية من يشاء، فمنه مايأتي من الأبيات التي تعتبر شعرا أرديا بدائيا عند النقاد:

وقـــت سحـــر وقت مناجات هَيْ

خيز دران وقت كـــه بركات هَيْ

نفس مبـــاداكـــه بكويـــد تـــــرا
خسب جه خيزي كه اهي رات هَيْ
بـــاتن تنهاجـــه روي زير زميـــن
نيك عمل كن كـــه رهي سات هَيْ
بند شكـــر كنج كه بدل جان شنو
ضائع مكـــن كه عمـــر هيهات هَيْ

ومعني الأبيات:" إن وقت السحر هو وقت الدعاء والمناجاة فعليك أن تستيقظ فيها لأنه وقت الإجابة والبركات!

ولعل نفسك الأمارة بالسوء قد يقول لك:نم، لماذا تستيقظ؟ أما تري الليل لا يزال باقيا!

ولمـــا ذا تذهب تحت التراب وحدك؟! عليك بالعمل الصالح الذي سوف يرافقك!

"ولـــو استمعت إلى ما ينصحك به معدن السكر" (أي الشيخ فريد الدين مسعود!) بكل انصات وبكل قلب وروح، فلا تضيع عمرك ووقتك فإنه لا يتكرر ولا يعود أبدا!!"

وأمـــا شـــعره البنجابي فهو كثير غزير يدل على خصوبة الذهن والقـــدرة عـــلى الإبداع والابتكار وولوع الشاعر بفنه وحبه ورغبته في النهوض به، ويبدو أن الشيخ فريد الدين مسعود كان قد بدأ يقرض الشعر بالفارســـية وربما بالعربية أيضا وهو في عاصمة دهلي حيث كانت سوق العـــلم بهاتين اللغتين، أي العربية والفارسية، نافقة وكان الكتاب قد بدأوا

يؤلفـــون بهمـــا كما أن الشعراء كانوا ينظمون الشعر بهما تقليدا للشعراء ذوي اللســـانين في العصر الغزنوي، وكان ذلك مما دعا الشيخ إلى قرض الشعر باللغتين، إذ كان حديث العهد ببلاد ماوراء النهر وعواصمها الثقافية مـــثل غزني وقندهار وهرات وغيرها من المراكز الثقافية التي زارها الشيخ طالبا فعاد إلى زاوية شيخه قطب الدين بختيار الكاكي بالعاصمة فأعجبته الســـوق الـــنافقة بها فبداله أن ينتفع بها فدخلها لكي يبرهن على كفائته الـــنادرة وعبقريته الفذة فأخذ يقرض الشعر بالعربية والفارسية، ولكنه لم يكثر منه وإنما نظم بيتا أو بيتين باللغتين فطار عنه الخبر وعرفه الناس شاعرا متصوفا و وليا تقيا فأقبلوا عليه، فأما شعره العربي فلم يصلنا شئ منه، رغم أن التراجم كلها قد أجمعت على أنه قال الشعر باللغتين العربية والفارسية وهـــو بمدنـــية دهلي العاصمة، وأما شعره بالفارسية فقد مرت بنا الأمثلة الشـــاهدة على ذلك إلا أن إقامته بدهلي العاصمة لم يكن طويلا فقد أقبل الناس عليه وأخذوا يزعجونه صباح مساء فتضايق بهم وأراد أن يخرج من العاصـــمة معتزلا منـــز ويا فاستأذن شيخه بذلك فخرج متجها إلى مدينة (هانسي) العسكرية البعيدة عن العاصمة حيث أقام بها نحو اثنتي عشرة سنة وتعلم اللغة المحلية وهي الهندية أو الهندوية وكان يعظ الناس بها ويدعوهم إلى الإســـلام، وهـــنا أخذ ينظم الشعر باللغة المحلية واللغة الأردية(والفرق بينهما قليل ضئيل يقصر على مقدار المفردات اللغوية كما مربنا آنفا).

وأخـــيرا، وليس آخرا، قرر الشيخ فريد الدين مسعود أن يعود إلى مسقط رأسه ومهجرآبائه في إقليم بنجاب على مقربة من مدنية ملتان وهي

قرية كوثي وال وسرعان ما أقبل عليه الناس فتبرم مما أرادوا منه من حوائج الدنيا الدنئية والتعاويذ والرقي فخرج هاربا متضايقا حتي نزلت به الأقدار بمكـــان قفرناء مجهول على ظهر قرية"أجودهن"التي عرفت وتعرف اليوم (باك بتن) أي المورد الطاهر بين أهلها الجفاة الأجلاف، وهنا أخذا الشيخ يقـــول الشـــعر بالبنجابـــية، ومنه صنع ديوانا ظل يتنقل في أيدي أولاده وأحفاده ويقال إن الكثير من شعره البنجابي قد ضاع و لم يصل إلينا منه إلا ما جمعه البابا (نانك) المعلم مؤسس الديانة السيخية الموحدة ثم ضم شعره هـــذا بعـــض أتـــباع الـــبابا إلى الكتاب المقدس للديانة السيخية والذي يســـمي(كرو كرنث) أي "الكتاب المعلم المقدس" وهو عبارة عن مجموعة الأنـــا شـــيد والأغاني والقطعات والقصائد الشعرية البنجابية للعديد من الشعراء ومنهم الشيخ فريد الدين مسعود والبابا (نانك) كما أن الكثير من الأبيات الشعرية التي جاءت على ألسنة الناس ويضمها كتب التراجم التي ترجمت للشيخ فريد الدين مسعود، وأما عدد الأبيات الشعرية التي يضمها الكتاب المقدس للسيخ فهو مئة و اثني عشر بيتا كما أن عدد الأبيات التي توجد في غيره من كتب التراجم يكاد يتجاوز المئة وهذه الأبيات الشعرية البنجابـــية للشيخ هي كلها أبيات مفردة تقريبا وقلما جاء منها مزدوجة أوكقطعـــة أو قصيدة، وهذا المنوال من الأبيات المفردة قد ابتكره الشيخ فـــريد فهـــو أبو عذرته، وقد ظل من جاء بعده من الشعراء يقلدونه مثل الشـــاعر البـــنجابي (شاه حسين) والشيخ الو لي (سلطان باهو) والشاعر الصوفي (عبد الله شاه) القصوري وغيرهم!

وأمـــا عن االبابا (نانك) مؤسس الديانة السيخية وصلته بالشيخ وشعره فله قصة يجب أن نسمعها ونطلع عليها فقد توفي الشيخ فريد الدين مســـعود إلى جوار رحمة الله وقد أوصي بالخلافة على طريقته الصوفية إلى الشـــيخ الولي نظام الدين أولياء المدفون بعاصمة دهلي، وأما تراثه الثقافي والشـــعري فقـــد أورثه وأوصي به إلى أولاده وأحفاده الذين احتفظوا به عندهم حتى جاء عصر حفيده إبراهيم المعروف بالفريد الثاني الذي التقي بـــه الرحالة الإسلامي الكبير والسائح الشهير ابن بطوطة الطنجى المغربي وهو في طريقه إلى عاصمة دهلي فنـــزل عند الفريد الثاني وتحدث إليه وقد سجل ابن بطوطة انطباعاته عنه في مذكرته وضمها إلى كتابه المعروف عن رحلته المدوية في آفاق الشرق والغرب.

ومجموعة الشعر البنجابي للشيخ فريد الدين مسعود ظلت في أسرته حتى جـــاء الشيخ إبراهيم الفريد الثاني من أهل القرن السادس عشر الميلادي، وكـــان القديـــس (بابا نانك)المتوفي 1538م شاعرا وأديبا للغة البنجابية . وكان مولعا بالشعر الصوفي البنجابي مما جعله يقرر في نفسه أن يقوم بجمع الشعر الصوفي البنجابي والاحتفاظ به فخرج يطوف بلاد اقليم بنجاب وقد تأبط الكراسة وفي يده العصا يهيم ويجول ويسأل عن الشعراء وعن شعرهم على طريقة الأصمعي الذي جمع لغة العرب وأدبهم وهو يهيم في بواديهم وصـــحارا هم (ولعل نانك قد اطلع على طريقة الأصمعي ودأبه وهو في بغـــداد لأن مؤسس الديانة السيخية كان قد زار أرض الحرمين الشريفين ومكـــث بها مدة ثم اتجه إلى العاصمة بغداد فأقام بها سنوات ونزل بمكان

هناك لايزال يعرف باسمه حتى اليوم!) فذلك القديس الموحد كان قد طاف البلاد فزار مدينة (باك بتن) أو المورد الطاهر فقابل إبراهيم الفريد الثاني وحكي له بغيته وطلب إليه أن يزوده بما عنده من شعر جده الشيخ فريد الدين مسعود فأعطي له المجوعة الشعرية فضمها البابا إلى مجموعته ثم ضمها بعض أتباعه إلى" كرو كرانث" فهو المصدر للشعر بالإضافة إلى ماجاء في كتب التاريخ والتراجم وقد قام بتدوين الشعر الكثيرون من أهل العلم وقد طبع ديوان الشيخ وتوجد له طبعات ونسخ كثيرة يتداولها الناس كما أن الديوان قد ترجم إلى العديد من اللغات ومنها الإنجليزية .

والجدير بالذكر أن البابا (نانك) كان ابن تاجر هندوكي يستغل العامة ولا يوفي الكيل والوزن كغيره من التجار الهنادكة مما جعل البابا(نانك) يثور عليهم وهو طفل مراهق كما أنه كره أن يعبد الأصنام وآمن بالرب الواحد وجعل يدرس الإسلام ثم خرج باحثا عن الحق فزار الحرمين الشريفين ثم ذهب إلى بغداد فمكث بها زمانا يدرس أوضاع المجتمع الإسلامي المنحط في وقته ويلتقي بالصوفية المسلمين الأدعياء وعندما عاد إلى الهند أعلن ثورته على المجتمع الطبقي الهندوكي ورجال الديانة الهندوكية من الكهنوت والتجار الهنادكة المستغلين وكاد يعلن إسلامه ولكن المجتمع المسلم الهندي المتخلف المتضعضع حال دونه فبقي مستور الحال يقرأ القرآن ويكتب آياته على قميصه فبرئ منه الهنادكة و لم يقربه المسلمون إليهم! فعاش قديساً ثائراً وناسكا زاهدا ينادي بالتوحيد ويدعو الناس إلى الخلق الحسن وخدمة الخلق حتى مات!